# أحاديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم وميراثه، و((الحجر الأسود من الجنة))

## بحث في مشكل الحديث


إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com



*خلاصة*—هذا البحث يبحث في أحاديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم وميراثه، و((الحجر الأسود من الجنة)).



*الكلمات الافتتاحية:* أحاديث، سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، ميراثه، الحجر الأسود من الجنة.


### I. *المقدمة*

التعرف على أحاديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم وميراثه، و ((الحجر الأسود من الجنة)).

### II. موضوع المقالة

الحديث الثالث: سحر النبي صلى الله عليه وسلم وهو في البخاري ومسلم.

وجه الإشكال في الحديث : وقد استشكل بعض الناس هذا الحديث؛ لتوهمهم أن فيها نقصًا بجناب النبي صلى الله عليه وسلم ومساسًا بقدره، وليس الأمر كذلك، وقد بين العلماء وجه ذلك.

واعلم أن ما وقع من تأثير السحر في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستلزم نقصًا ولا محالًا شرعيًّا، كما وضحت ذلك الروايات الصحيحة؛ لأنه من نوع الأعراض البشرية، والأمراض المؤثرة في الأجسام، ولم يؤثر ذلك البتة فيما يتعلق بالوحي، وتبليغ الرسالة.

واستدلال مَن منع ذلك زاعمًا أنه محال في حقه صلى الله عليه وسلم كما سنبينه.

وهذا ملخص كلام ابن حجر في هذه المسألة من (الفتح) مع بعض الزيادات اللازمة، وإن كانت قليلة.

وهذا فحوى كلامه:

قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها. قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل، وليس هو ثَمَّ، وأنه يوحى إليه بشيء، ولم يوح إليه شيء.

الجواب: قال المازري: هذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النَّبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله عز وجل وعلى عصمته في التبليغ. ودلائل ذلك كثيرة، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لِمَا يعتري البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل الله في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقةَ له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين.

قال: وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث : أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطئهن، وهذا كثيرًا ما يقع تخيلُه للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا، ولفظه: "حتى كان يرى أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن"، وفي رواية الحميدي: "أنه يأتي أهله، ولا يأتيهن". قال الداودي: "يرى" بضم أوله أي : يظن. وقال ابن التين : ضبطت: "يَرى" بفتح أوله. قلت: وهو من الرأي، لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن. قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده، وظواهر جوارحه، لا على تمييزه ومعتقده.

وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة. وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور : أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتداء على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتَر من ذلك كما هو شأن المعقود، فكان إذا رأى الشيء يخيل إليه أنه على غي ر صفته، فإذا تأمله عرَف حقيقته.

ويؤيد جميع ما تقدم: أنه لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم في خبر من الأخبار أنه قال قولًا فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صَوْنُ النَّبي ε من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في (الصحيح): "أن شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته، فأمكنه الله منه"، فكان السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض: من ضَعْف عن الكلام، أو عَجْز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول، ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: ((أما أنا فقد شفاني الله))، وفي الاستدلال به نظر، انتهى.

وعلى كل حال، فهو صلى الله عليه وسلم معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر في الرسالة والتبليغ. وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية : كأنواع الأمراض والآلام، و نحو ذلك، فالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر؛ لأنهم بشر ونحو ذلك من الآيات.

الحديث الرابع: ((الحجر الأسود من الجنة)):

تخريج الحديث: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نزل الحجر الأسود من الجنة )). رواه الترمذي ، والنسائي، والحديث صححه الترمذي . وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضًا من اللبن؛ فَسَوَّدَتْه خطايا بني آدم )). رواه الترمذي وأحمد، وصححه ابن خزيمة، وقوَّاه الحافظ ابن حجر في (الفتح).

وجه الإشكال في الحديث : أن قالوا : كيف يكون الحجر الأسود من الجنة وقد جيء به من بعض أودية مكة، وكيف يجوز أن يُنْزِل الله تعالى حجرًا من الجنة؟ وهل في الجنة حجارة؟ وإن كانت الخطايا سودته فقد ينبغي أن يبيض لَمَّا أسلم الناس، ويعود إلى حالته الأولى؟

**الجواب:**

**قال الحافظ ابن حجر : اعترض بعض الملحدين على الحديث الماضي فقال : "كيف سودته خطايا المشركين، ولم تبيضه طاعاتُ أهلِ التوحيد؟**

**وأجيب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله لكان كذلك، وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يُصبغ ولا ينصبغ، على العكس من البياض . وقال المحب الطبري : في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد . وقال المباركفوري: قال في (المرقاة): أي: صارت ذنوب بني آدم الذين يمسحون الحجر سببًا لسواده، والأظهر حمل الحديث على حقيقته؛ إذ لا مانع نقلًا ولا عقلًا.**

**الحديث الخامس: ((إنَّا معاشر الأنبياء لا نُورث)):**

**وجه الإشكال في الحديث : ما توهمه بعض الناس : أن الحديث -كما سيأتي ذكر رواياته- يعارضه ما جاء في القرآن الكريم من قول الله عز وجل عن زكريا.**

**ولا تعارض - بحمد الله تعالى- بين هذه النصوص؛ لأن سليمان # إنما ورث الحكم والنبوة من أبيه داود، وزكريا مثله، إنما ورث العلم والنبوة، كما هو ظاهر جلي من سياق الآية.أي: خفت أقاربي، وبني عمي، وعصبتي، أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولدًا يقوم بعدي بالدين حق القيام . أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله تعالى، والقيام بدينه، لا إرث مال.**

**ويدل لذلك أمران:**

**ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم، والنبوة، والدين.**

**الأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم- لا يورث عنهم المال، وإنما يورَث عنهم العلم والدين . فمِن ذلك ما أ خرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عنه ع أنه قال: ((لا نُورث، ما تركنا صدقه)).**

**ومن ذلك أيضًا: ما رواه الشيخان أيضًا عن عمر رضي الله عنه أنه قال لعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد، وعلي، والعباس }: ((أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ع قال: لا نورث ما تركنا صدقة، قالوا : نعم)).**

**ومن ذلك: ما أخرجه الشيخان أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أن أزواج النَّبي ع حين تُوفي أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن. فقالت عائشة: أليس قال النَّبي ع: ((ما تركنا صدقة؟)).**

**ومن ذلك: ما رواه الشيخان أيضًا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تقتسم ورثتي دينارًا، ما تركتُ بعد نَفَقَة نسائي ومئونة عاملي، فهو صدقةٌ))، وفي لفظ عند أحمد: ((لا تقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا)).**

**ومن ذلك أيضًا: ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، وصححه عن أبي هريرة : أن فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه : "مَن يرثك إذا مت؟ قال : ولدي وأهلي. قالت: فما لنا لا نرث النَّبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال: سمعت النَّبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن النَّبي لا يورث))، ولكن أعول من كان رسول الله ع يعوله، وأنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق". فهذه الأحاديث وأمثالها ظاهرة في أن الأنبياء لا يورث عنهم المال، بل العلم والدين.**

## المراجع والمصادر


١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق :شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشى، بدر الدين الزركشى، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، المدينة المنورة، مكتبة الدار السلفية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه ، صحيفة همام بن منبه ، شرح وتحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين ، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.